عصمت سيف الدولة ونشاطه السياسي والفكري في مصر
(١٩٢٣ – ١٩٩٦)

أ.م. ايمان عبد الله حمود
جامعة بغداد-كلية التربية للبنات-قسم التاريخ

Ismat Seif al- Dawla and his political and intellectual activity in Egypt 1923-1996

Assis Prof. Eman Abdallah Hmood

Baghdad university- college of Education for Women - History Dept

المستخلص

تناول البحث شخصية ذات نشاط سياسي وفكري وهو عصمت سيف الدولة الذي كان له أثر كبير في قضايا الأمة العربية فقد وامم كثيرا بين العروبة والإسلام .فقد أصبح مفكراً تعتمد على أراه كثير من المثقفين وتناول البحث العديد من أفكاره .وبخاصة موقفه من الكيان الصهيوني الغاصب ومخاطر الحركة الصهيونية على الوجود القومي العربي . كذلك تاصيله المعمق لنظرية الثورة العربية تنوع الإنتاج الفكري والثقافي لعصمت سيف الدولة بين الكتب والابحاث والمحاضرات تمتع عصمت سيف الدولة بمواهب شتى فهو شاعر وأديب ومفكر والانخراط في المجتمع من أجل رفع رايته الكلمات المفتاحية مصر – سياسي– فكري– نشاط– عصمت سيف الدولة

Abstract

The research dealt with a personality with political and intellectual activity, and he is Ismat Saif al-Dawla, who had a great impact on the issues of the Arab nation, because he lost a lot between Arabism and Islam. He became a thinker who relied on the opinion of many intellectuals. Zionism on the Arab national existence. Likewise, his deep rooting of the theory of the Arab revolution, the diversity of the intellectual and cultural production of Ismat Saif al-Dawla between books, research and lectures.

KeywordsEgypt- Political- Intellectual- activity- Ismat Seif al- Dawlau

المقدمة

يُعدّ عصمت سيف الدولة أحد أبرز المفكرين المصريين الذين قضوا حياتهم في خدمة بلادهم وقضايا الأمة العربية، ويعد من العقول القومية الواعية بالفكر القومي الذي نظّر له بإجلال ومارسه خلال حياته، سواء بوعيه لأمور أمته وقضاياها المصيرية المتشعبة أو لطبيعة المرحلة التي مرت بها، ليوفق في مرحلة صعبة من تاريخ الأمة العربية بين ما كان يعد متناقضًا، ويوائم بين العروبة والإسلام. في هذا البحث، سوف نتناول بشيء من الإيجاز غير المخل، أبرز المحطات في حياة الدكتور عصمت سيف الدولة، وأهم التحولات التي قادته ليصبح مفكرًا أمنت جماهير كثيرة من المثقفين في الوطن العربي بأفكاره، خاصة تلك الأفكار القومية والعروبية، وموقفه من الكيان الصهيوني الغاصب ومخاطر الحركة الصهيونية على الوجود القومي العربي، كذلك تأصيله المعّمق لنظرية الثورة العربية، وتحليل السياقات التاريخية والاجتماعية لنشوء وارتقاء فكرة القومية العربية ومدى إمكانية تحقيق الوحدة العربية، وغيرها العديد من القضايا التي تناولها في مؤلفاته وأبحاثه حتى أصبح مفكرًا فذًا وظاهرة ينبغي دراستها بعناية.

المبحث الأول: مولده ونشأته ووفاته

أولًا: نشأته وحياته.في ٢٠ اب١٩٢٣م، وُلد عصمت سيف الدولة في قرية "الهمامية"، إحدى قرى صعيد مصر، التي تتبع مركز البداري في محافظة أسيوط، وكانت تلك القرية كغيرها من قرى مصر تعاني من فساد السلطة التي كانت تدعم الاستعمار البريطاني وتحمي الإقطاعيين الذين اغتصبوا الأرض من أصحابها، حتى أصبح الخوف من السلطة هي الحالة السائدة عند أهل القرية، فالشباب كانوا يفرون إلى الجبال والحقول عند اقتراب رجل أمن من القرية،[١] وفي ذاك الصدد ذكر عصمت في مذكراته الموسومة "مذكرات قرية"، حالة الاستبداد والعبودية التي كانت تُمارس على الشعب، ويسرد فيها الواقع الذي كانت تعيشه، فيقول: "سخرة بلا أجر، إقامة بدون إيواء، أيام بدون غذاء. يأتي العمدة إلى القرية طالبًا شوية عيال يصلحو الطريق والجسر من آثار الفيضان، فينشط بعض الشيوخ في إقناع الكهول بتقديم أولادهم ما يكفي الحكومة، فإذا جمعوهم ربطوا أيديهم بحبل واحد يجره حصان العسكري يسوقوهم مسافة ستة كيلو مترات، حاملين طواريهم بدون اعتراض بدون كلام، ولكن بشعور من القهر والمذلة وينصرف العمدة إلى المركز يبلغهم كله "تمام يا أفندم"، فقط الخفراء هم من يتهامسون ويتذمرون، فهم يعلمون ما لا يعلمه الشيوخ والكهول"[٢] نستخلص من تلك الاسطر ،حالة الظلم والاستغلال الذي عاشه شعب مصر في ظل حكم جائر. بعد أن أنهى عصمت مراحل دراسته حتى الثانوية في قرية الهمامية، انتقل إلى القاهرة ليكمل تعليمه الجامعي، فحصل على ليسانس الحقوق عام ١٩٤٦ من جامعة القاهرة ثم على دبلوم الدراسات العليا في الاقتصاد السياسي عام ١٩٥١ ،ودبلوم الدراسات العليا في القانون لعام ١٩٥٢ [٣]وخلال إقامته في القاهرة لدراسة والتي كانت محطة من المحطات التي أججت في داخله الصراع نتيجة غياب العدالة وتفشي الظلم، وتمايز الطبقات، مما خلف مجتمعًا لا توجد فيه طبقة وسطى، فإما غنى فاحش أو فقر مدقع، وازداد ذلك الصراع في داخله عندما سافر إلى فرنسا، لإكمال دراسته العليا في القانون إذ لاحظ التفاوت الكبير بين المجتمع الغربي الذي كانت تسوده روح التعاون والمساواة والعدل، وبين المجتمع المصري الذي كان ينخره الفساد والظلم، فأعلن الحرب بعد عودته على كل ما يخالف قيم ومبادئ العدالة الاجتماعية والتعاون والإخاء، وجعل من هذه القيم والمبادئ نبراسًا يهتدي بنوره في الظلمات[٤].

ثانيًا: وفاته.

في ٣١ مارس ١٩٩٦، انتقل عصمت سيف الدولة الى جوار ربه بعد حياة قضاها في الكفاح والنضال والدفاع أن عن أرض مصر وعروبتها وعن قضايا الأمة العربية، فارق الحياة بعد سنوات خاض خلالها الكثير من المعارك، وبعد أن ملأ الدنيا فكراً وجدلاً، وحجز له مكانًا على عرش الفكر القومي العربي، وانتشرت كتبه حتى أصبحت تتلى في شتى البلدان العربية، وصارت مصدر إلهام للقوميين العرب والباحثين؛ وقد خلقت هذه المؤلفات والدراسات حالة جدلية ظهر صداها في الحوار الحاصل اليوم بين القوميين والإسلاميين بمختلف توجهاتهم وفصائلهم وتنظيماتهم وحراكاتهم(٥). ومما يثير العجب هنا أن عصمت سيف الدولة أوصى ابنه بألا يقيم له عزاء في القاهرة اخلاصًا وحبًا لقريته وأهله، وفي هذا الصدد يذكر ابنه محمد عصمت سيف الدولة أنه تعجب من ذلك الطلب، ولكن سرعان ما تبدد استغرابه بعدما توفي والده، عندما قدم أهل قريته وأخذوه لإقامة العزاء، فأدرك حينها لماذا كان إصرار والده على إقامة العزاء في القرية((٦).

وفي ذكرى رحيل عصمت سيف الدولة، يقول المفكر جاسم علوان: "منذ تعرفت على المفكر الراحل عام ١٩٦٤، عرفت في عصمت سيف الدولة المفكر الوفي لأمته والمهموم بقضاياها الدائمة، وأثبتت الأيام صدق نظرته مثلما حدث بشأن التعامل مع القضية الفلسطينية ومع الصراع العربي – الصهيوني بشكل عام"(٧)، كما يقول فريد عبد الكريم: "إن ما لم يقله ولم يسجله هو أكثر مما قاله وسجله، فمواقفه السياسية والشجاعة ومواقفه من الأشخاص والموضوعات فيها من القوة والنقاء ما ينبغي توثيقه وتسجيله، وإنني أتمنى لو تم توثيق وتسجيل ما قام به عصمت سيف الدولة فهو ذو خبرة لا تنفذ في مجالات عديدة(٨).

المبحث الثاني: نشاطه السياسي والفكري

أولًا: نشاطه السياسي.

آمن عصمت سيف الدولة بأن مشكلات الوطن العربي لا يمكن أن تُحل بالتنظير الفكري، لذلك قرر الالتحاق بالعمل السياسي، ولم يقف عند لذلك الحدّ، بل حمل السلاح وقاد كتيبة من المقاتلين في السويس وقاتل ضد الاستعمار البريطاني، وظل في صفوف المقاتلين حتى قيام ثورة ١٩٥٢م، تلك الثورة التي وجد فيها سبيلاً لخلاص الأمة، فدافع عنها ونافح عن قائدها جمال عبد الناصر بحماسة شديدة واندفاع، لكن لم يمنعه ذلك من توجيه الانتقادات لمسيرة الثورة وللأخطاء التي كانت ترتكبها بعض الأجهزة الامنية في عهد عبد الناصر، أو للفساد الذي كانت تمارسه القوى الثورية داخل النظام(٩). أسهم عصمت سيف الدولة في بلورة منهج الإسلام والعروبة، فبين أنهما لازمان ولا يتعارضان، مع أن منطلقاتهما مختلفة(١٠)، وبشكل عام، فان فكر الدكتور عصمت يمكن وضعه في إطار الفكر القومي التقدمي الاشتراكي، الذي فجرته تجربة الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وممارساته السياسية خلال عقدي الخمسينات والستينات، إلا أن أفكاره ستبقى معبرة عن فكره الحر واجتهاده واستقلاليته التي تمثلت في منهجه، وبقيت مسألة تمايز فكره عن تجربة جمال عبد الناصر أحد القضايا الغامضة التي شغلت بال عدد كبير من المفكرين، حتى أجاب عليها في كتابه "عن الناصريين وإليهم"، يقول: "حينما كانت الحركة الجماهيرية القومية منتصرة تحت قيادة الرئيس جمال عبد الناصر كتبت ما كتبت حاثًا ومحرضًا جماهير الأمة العربية وقيادتها على عدم التوقف عند الوحدة الجزئية، وعدم الاكتفاء بوحدة القيادة ووحدة الحركة بدون وحدة التنظيم، انصرفت فيها إلى تأصيل الوحدة وتبرير التضحيات من أجلها والتوحيد بينها وبين النصر في كل معارك التحرر والتقدم، وقد عوتبت أيامها على أنني لم أذكر في كتبي لا مصر ولا الميثاق، ولا حتى عبد الناصر، وكان ردي أنني أقاتل بما أكتب في سبيل أمتي ووحدتها القومية حيث تدور المعارك مع الأعداء واحتمالات النصر أو الهزيمة، ولست معنياً، ولا أنا أجيد ترتيل أناشيد النصر للمنتصرين.. ومصر عبد الناصر ١٩٦٦م منتصرة فهي في غير حاجة إلي، وخسرت الكثير من الناس، وكثيرين لم يفهموا ذلك الموقف، ولكني لم أعبأ بالتوقف لمعرفة ماذا ومن خسرت.. كان الأكثر استحقاقا للانتباه مساندة الحركة المنتصرة حتى يتحقق النصر الأخير. فرأى من رأى أنني أستحق لقب قومي، وكان ذلك بالنسبة لي كسبا عظيما"(١١). وفي عهد الرئيس الراحل محمد أنور السادات، أدرك عصمت سيف الدولة أن السادات قد تخلى عن المسار القومي وأنقلب على مبادئ الثورة، بعد حرب عام ١٩٧٣م، كان بداية ذلك "اتفاقية سيناء" (١٢).التي أبرمها مع العدو الصهيوني، وانتهاء بمعاهدة كامب ديفيد(١٣)، فوقف ضدها مع المعارضة، وعارض التطبيع ضد الكيان المغتصب، ومن أجل الحفاظ على عروبة مصر ووحدتها، وقف مدافعاً عن الثورة ومكتسباتها وانجازاتها، وفي هذه المرحلة أصدر عدة كتب منها: "هذه المعاهدة" و "الاعتراف المستحيل" و "دفاع عن الشعب"، بالإضافة إلى عدة دراسات ومقالات كان ينشرها في مختلف الصحف والمجلات العربية، بعد أن رفضت صحف مصر نشرها بضغط من سلطات عليا(١٤). وجه سيف الدولة انتقاداً لاذعاً للرئيس السادات قائلاً "كان أنور السادات إقليمياً فرعونياً رأسمالياً نرجسياً منذ بداية حياته العامة، ولم يكن يعبأ بالتقييم الاجتماعي للمواقع التي يختارها لنفسه ما دامت ترضيه، فأستطاب معاشرة حاشية الملك والالتحاق

بحرسه الحديدي مع أنه لم يكن ملكياً، فهو لم يخدع أحداً إنما انخدع به من لم يعرفوه بعيداً عن عبد الناصر، فلم يعبأ بانخداعهم، كما أخطأ الذين أعماهم ولائهم الذاتي لشخص عبد الناصر حينما اتخذوا من اختياره للسادات نائباً حجة لاختياره رئيسًا[١٥]. وعلى مايبدو لم المواجهة بين عصمت سيف الدولة والسادات على جانبها الفكري، بل تم اعتقاله أكثر من مرة من قبل الاجهزة الأمنية، وزُجّ به في السجن، وكان يطلق سراحه نتيجة الضغط الشعبي، ولعل ثأراً كان مبيتًا من قبل أجهزة الدولة التي كانت تعمل في عهد عبد الناصر؛ أعطاها المبرر القوي لمعاقبته لنقده لها وتشهيره بها، فكانت تترصده بعد أن هاجمها واتهمها بالفشل والعجز وانعدام الكفاءة وممارساتها الاستبدادية الإجرامية، فتم القبض عليه في بدايات حكم "السادات" بتهمة إنشاء تنظيم قومي، أُطلق عليه (تنظيم عصمت سيف الدولة)، ونُسب إلى هذا التنظيم تهمة السعي لقلب أنظمة الحكم في الوطن العربي، فكان أول تنظيم يُقبض على أفراده إبان فترة حكم السادات، وحكم عليه في عام ١٩٧٢م بالسجن لعدة سنوات، وقد ورد في المحاكمة، أن الأجهزة الأمنية كانت تراقبه عن كثب لسنوات قبل القبض عليه بالجرم المشهود، مما يعني أن أجهزة عبد الناصر الأمنية هي من كانت تترصده قبل وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، بعد ذاك اطلق سراحة في عام ١٩٧٣[١٦]. ولأن عصمت كان رجل قانون، وكثيرًا ما وقف مدافعاً عن المناضلين، بغض النظر عن توجهاتهم الفكرية والأيديولوجية، حتى عمن كانوا يعارضونه، سواء داخل مصر أو خارجها، أُطلق عليه لقب "محامي الشعب"، حيث دافع عن المعتقلين في قضية تنظيم "ثورة مصر"، وعن التنظيمات السياسية التي شاركت في انتفاضة ١٩٧٧م ضد معاهدة كامب ديفيد، والتي كانت علامة فارقة في تاريخ القضاء المصري، فأثبت أن التكنولوجيا الحديثة قادرة على تزييف الوثائق، فنجح في إبطال أدلة التسجيلات الصوتية والصور المقدّمة من الأجهزة الأمنية كأدلة إدانة للمتهمين، فقدم للمحكمة تسجيلات صوتية لرئيس المحكمة، يتبنّى فيها رأي المتهمين، كما قدم فيها صوراً يظهر فيها عصمت سيف الدولة رئيساً لتلك المحكمة، بينما رئيس المحكمة الحقيقي يبدو في مكان العضو الأيمن، وفي صورة أخرى، غيّر موقعه بحيث حل مكان العضو الأيسر، فاستطاع خلالها فضح تلاعب الأجهزة الأمنية بالأدلة الدامغة، وكشف خداعها، فحصل للمتهمين على البراءة من التهم التي نُسبت اليهم، مما اعطى الأجهزة الأمنية المبرر لتبقيه في دائرة الشك، فترصدته مرة أخرى وأعيد اعتقاله عام ١٩٨١م، عندما وقف معارضاً في وجه اتفاقية كامب ديفيد[١٧]. عايش عصمت سيف الدولة الواقع وتعايش مع الناس، فلم يغب عن أتراحهم وشاركهم في أفراحهم، مما أكسبه قدرة عالية على استنباط الأحكام والقدرة على التنبؤ بأحداث المستقبل، فكتب عام ١٩٧٠م "المقاومة الفلسطينية من وجهة نظر قومية"، حيث تنبأ فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية يوماً ما ستدخل في مفاوضات مع العدو الصهيوني وستعترف به وستقيم معه معاهدات وعلاقات، وهو ما حصل بالفعل، وفي عام ١٩٧٩م كتب تلك المعاهدة عن اتفاقية كامب ديفيد بين مصر والعدو الصهيوني، تحدث فيها عن آثارها مآلاتها الكارثية على النظام العربي بعامة والمجتمع المصري بخاصة، وفي العام نفسه ألف "رأسماليون وطنيون.. ورأسمالية خائنة"، محذراً فيه من بيع مؤسسات القطاع العام بعملية الخصخصة وأنها ستؤدي إلى دمار القطاع العام، مؤكدًا على حق الشعب في هذه الهيئات والمؤسسات، أما في عام ١٩٨٢م كتب مقالة شهيرة بعنوان "أيها الشباب العربي هذه فرصتكم لتحرير فلسطين" دعاهم فيه إلى اقتناص الفرصة التاريخية عندما قام العدو الصهيوني باجتياح لبنان، لتكون بداية حرب شعبية تنطلق من لبنان لتمتد إلى الوطن العربي[١٨]. ولم يكن تفكير عصمت سيف الدولة ليقف عند حد الواقع المصري، ولكنه بفكره القومي انتقل من الثورة المصرية كحالة خاصة إلى الثورة العربية كحالة عامة، فكان من أوائل المنادين والمبشرين بالقومية العربية، وراح يبحث عن أفضل الطرق لتحقيق الوحدة التي كانت حلم الإنسان العربي، مستفيداً من تجارب الماضي، فكان بفكره منفتحاً على التيارات الفكرية المتنوعة في شتى أنحاء العالم، فأخذ منها ونقد بعضها، مبعداً من فكره ما يمكن إن يؤدي الى أي انشقاق ممكن ان يحصل حتى في إطار الوحدة الوطنية الضيقة، فبحثها بوسائل عملية بعيداً عن العواطف والمشاعر، حتى أنه لم يركن للتراث الثقافي المشترك وحده، ومن كلماته المأثورة "إن قابيل قتل هابيل رغم الأخوة التي بينهما، فلا يكفي مجرد الانتماء، إنما المهم هو خلق المصالح المشتركة والعمل المشترك"[١٩]. ومن الشواهد التي تدلل على رؤيته الثاقبة وإيمانه بقوميته العربية؛ إيمانه بالثورة الفلسطينية، فأولاها الكثير من الجهد والاهتمام، وتناولها في دراساته وكتاباته، بعد أن استبشر خيراً بانطلاق الثورة الفلسطينية عام ١٩٦٥م، وكان من أبرز ما كتبه عنها، كتابه "التقدم على الطريق المسدود"، ذلك الكتاب الذي صدم الكثيرين عندما أوضح فيه أن منظمة التحرير الفلسطينية تسير على الطريق المسدود، رغم أنها حصلت على تأييد الدول العربية في مؤتمر القمة العربية في الرباط عام ١٩٧٤، واعتراف العديد من دول العالم بها كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، ومبرره في ذلك ان انطلاقة المنظمة كانت إقليمية في هيكلتها وقيادتها وقرارها، وبالتالي ستجد نفسها في مرحلةٍ ما، مضطرة لمواجهة كل من الأعداء والأشقاء والأصدقاء، لذلك دعاها إلى التخلي عن إقليميتها والانخراط في الخط القومي، والمساهمة في بناء

"التنظيم القومي العربي" على كامل الأراضي العربية، كامتداد طبيعي لها، لتشمل كل الجماهير العربية، أما على الصعيد العملي، فقد ذكر أنه زار مواقع الثورة على خطوط التماس مع العدو الصهيوني في الأردن وسورية ولبنان مرات عديدة(٢٠).

ثانيًا: نشاطه الفكري والثقافي. من البديهي أن الأديب يعبر عن همومه وهموم مجتمعه من خلال الشعر أو النصوص الأدبية أو الروايات أو القصص، وإذا ما اجتمع الأدب مع الفكر ففي ذلك إضافة نوعية، وذلك ما اجتمع في الأديب المفكر عصمت سيف الدولة، فعندما طلب منه كتابة سيرته الذاتية فضل أن يكتبها متضمنة في سيرة قريته التي تربى وترعرع فيها، فكتب "مذكرات قرية"، ثم "مشايخ جبل البداري"، هذا بالإضافة إلى أنه كان فنانا تشكيليا، تفجرت مواهبه أثناء وجوده في السجن، وخلال مسيرته، ألف الدكتور عصمت العديد من الروايات والمسرحيات الفكرية والسياسية والفلسفية، إلى جانب الكثير من المؤلفات والبحوث والمقالات التي نشرت في حياته وبعد وفاته، مما يجعل مهمة حصرها أمر غاية في الصعوبة، نظراً لأن تلك المؤلفات بعضها بحوث ودراسات جُمعت في فترات مختلفة على غير وجه، ومنها مقالات وبحوث لا زالت تنشر منفردة. وهنا سوف نحاول ذكر أبرز أعمال عصمت الفكرية والثقافية، وذلك على النحو التالي: أسس الاشتراكية العربية(٢١): تناول عصمت في ذلك الكتاب المناهج والفلسفات التي سبقت منهجه الجدلي من المنهج الليبرالي والتاريخي إلى المنهج الإسلامي، فنقد الجدل الهيجلي والجدل الماركسي، وبين أين قصرت وأين أصابت؟، ليؤصل نظريته على بناء فلسفي متين، ثم عرض لفلسفته في جدل الإنسان بالاعتماد على الإنسان كوحدة من الفكر والمادة، ذلك الكائن الوحيد القادر على جمع التناقض بين الماضي والمستقبل في ذاته ليحصل الجدل فيتم بها إضافة، وتناول فيه أيضاً "الجدل الاجتماعي" لأن الإنسان لا يمكن أن يوجد في المجتمع وحيداً، وبذلك يكون "الجدل الاجتماعي" الحالة المجتمعية لجدل الإنسان. لماذا وكيف؟ وحدة القوى العربية التقدمية – دروس في الهزيمة(٢٢):ألف عصمت ذلك الكتاب بعد نكسة ١٩٦٧م، وتحدث فيه عن أسباب هزيمة العرب المذلة والمهينة بجيوشهم الجرارة أمام العدو الصهيوني، مرجعاً ذلك إلى السياسة العربية التي غابت عنها النظرية العلمية، إضافة إلى غياب استراتيجية موحدة تهدف إلى القضاء على العدو الصهيوني، ويذكر فيه أن العدوان الصهيوني كان نتيجة استراتيجية طويلة وليست وليدة لحظات تاريخية آنية امتد التخطيط لها لسنوات طويلة قبل احتلالها، وكنتيجة للحلول الإقليمية الرجعية، ويؤكد على أن الاشتراكية العربية هي النظرية الأنسب للواقع العربي. ما العمل .. رسالتان الى الشباب العربي(٢٣): رسالتان موجهتان للشباب بعد هزيمة ١٩٦٧م، ناقش فيهما أسباب الهزيمة أمام العدو الصهيوني، ويعرض فيه للأوضاع العربية السيئة القائمة، محاولاً من خلالهما إعادة بث الروح في نفوس الشباب التي تحطمت بعد الهزيمة. الطريق: تتألف تلك المجموعة من ثلاثة كتب، هي: الطريق إلى الوحدة العربية(٢٤)، الطريق إلى الاشتراكية العربية(٢٥)، الطريق إلى الديمقراطية(٢٦)، وهذه الكتب الثلاثة تعتبر تنظيراً للقومية والاشتراكية والوحدة العربية، وهي بحق بمثابة تأصيل لما كان يفعله ويقوله جمال عبد الناصر. نظرية الثورة العربية(٢٧): عبارة عن موسوعة ضخمة تتألف من سبعة أجزاء، يبحث فيها عن النظرية الملائمة لمواجهة مشكلات الواقع العربي بعد هزيمة ١٩٦٧م، والتي أثبتت جسامة المخاطر التي ينطوي عليها الأسلوب التجريبي، حيث أصبح من المسلم به أن مواجهة المستقبل بغير نظرية تُعدّ "حماقة"، تم نشر هذه الموسوعة في بيروت بعد ان تم رفض نشره في مصر. الأحزاب ومشكلة الديمقراطية في مصر(٢٨): تناول ذلك الكتاب الإشكاليات القانونية للأحزاب السياسية التي صدرت بقرار رئاسي عام ١٩٧٦م، من حيث المواد التي كان يجب أن تضاف إليه، أو من حيث المواد التي كان يجب أن تحذف منه، ليصبح تشكيل تلك الأحزاب متوافقاً مع الدستور ويصبح مشروعاً، وبحث فيه ايضاً تاريخ مشكلة الديمقراطية في مصر قبل وبعد ثورة ٢٣ يوليو، تحديدًا خلال الفترة (١٩٥٢م – ١٩٧١م)، ثم المرحلة التي بدأت عام ١٩٧١م، ومحاولاتها وتجاربها، وبحث فيه عن طرق حل مشكلة الديمقراطية التي وجد أنها تكمن في الأحزاب السياسية، وتطرق في ذاك الكتاب أيضًا للحديث عن تجربة جمال عبد الناصر، وتطورها من الديمقراطية الليبرالية إلى الاجتماعية وانتهاء بالديمقراطية الاشتراكية. مشكلة فلسطين من وجهة نظر قومية(٢٩): يشرح عصمت في ذلك الكتاب مشكلة فلسطين موضحاً السياق التاريخي لمشكلة اليهود وزرعها في الأرض العربية "فلسطين"، ويرى أن حلها الصحيح لابد أن ينطلق من أساس قومي، ويرى أن الإقليمية كانت سبباً رئيسياً في هزيمة العرب أمام العدو الصهيوني، ويعيب فيه على الثورة الفلسطينية أنها بدأت قومية بعيدة عن أساسها القومي العربي، ويعالج فيه القضية الفلسطينية من منظور قومي، ويحدد فيه الحل بالنسبة الى اليهود والفلسطينيين، ويرى أن ترك الفلسطينيين يواجهون مصيرهم لوحدهم ما هو إلا تعميق للإقليمية، ففلسطين أرض عربية وحلها واجب على كل عربي من منطلق القومية العربية. هل كان عبد الناصر ديكتاتوراً؟(٣٠): يهدف ذلك الكتاب للدفاع عن تجربة البناء الاشتراكي بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر ومواجهة الحملة الشرسة التي كان يشنها اليمين واليسار والمعارضون له بدعوى الديمقراطية. عن الناصريين وإليهم(٣١): في ذلك الكتاب يحدد عصمت سيف الدولة

طبيعة علاقته الفكرية والشخصية بالرئيس جمال عبد الناصر والناصرية التي صورها البعض أنها كانت علاقة غريبة وغامضة، فحدد فيه موقفه الشخصي والفكري والسياسي من عبد الناصر والناصريين بوضوح، وحث الجماهير العربية على عدم الوقوف على حد الوحدة الجزئي، وضرورة وجود تنظيم موحد يقود الأمة العربية في طريق تقدمها ورفعتها، وجاءت خاتمته كدراسة فكرية عن الناصرية والناصريين، وكأنها وصية سياسية من مفكر ومناضل سياسي، كانت حياته كلها تجسيداً لأفكاره التي آمن بها ودفع ثمناً لها، وكتب فيه أيضاً كل ما كان يود أن يذكره عن الرئيس جمال عبد الناصر والناصرية والناصريين. رأسماليون وطنيون ورأسمالية خائنة[٣٢]: وهما مقالان؛ الأول بعنوان جبهة القطاع العام، والذي نشر عام ١٩٧٤م، دافع فيه عن القطاع العام وحق الشعب فيه، ومحذراً من الهجمة التي كانت تهدف الى تصفيته، ببيعها بأبخس الأثمان من خلال عملية "الخصخصة"، والثاني: نشر عام ١٩٧٥م، بعنوان رأسماليون وطنيون ورأسمالية خائنة، ويتحدث فيه عن خيارات الرأسمالية مؤكداً على أنها غير قادرة على منافسة الرأسمالية العالمية، فتكون أمام خيار وحيد وهو التحالف معها، لتبدأ بتوسيع نفوذها من خلال فتح الأسواق والتبادلات التجارية التي ستستحوذ على الاقتصاد المصري لتبقيه تابعاً لها، وعليه تجد الرأسمالية الوطنية أنه ليس لها من طريق إلا أن تكون مع الرأسمالية العالمية على أساس مصلحي، فيسميها "بالخائنة"، على مبدأ أن رأس المال لا وطن له. حوار مع الشباب العربي[٣٣]: يوثق فيه لفترة معينة من تطور الفكر والثقافة في الوطن العربي ما بين مايو ١٩٧٤م سبتمبر ١٩٧٥م، وهو عبارة عن مناقشات جرت على صفحات إحدى الصحف القومية بين عصمت سيف الدولة وبعض من الشباب العربي آنذاك، بالإضافة إلى ما يحويه من معارف في شتى العلوم. إعدام السجان[٣٤]:كتيب جمع فيه مجموعة من الرسائل التي كتبها في سجنه ١٩٧٢م خفية، وسرد فيها بعضاً من القصص والطرف خلال القبض عليه واتهامه زوراً وبهتاناً، منها تشكيل تنظيم سري للانقلاب على الحكم، وتلفيق التهم له في مرحلة التحقيق، وتحدث فيه عن يومياته في السجن، وتضمن أيضاً في فصوله على مسرحيتين ومجموعة مقالات حول نظم والرسم والنقد، لتكشف عن جانب آخر من جوانب شخصية هذا المفكر وهي شخصية الأديب. التقدم على الطريق المسدود[٣٥]: في ذلك الكتاب، وضح عصمت موقفه من القضية الفلسطينية ومنظمة التحرير الفلسطينية، وكما ذكرنا آنفًا، يرى عصمت أن منظمة التحرير الفلسطينية وبعد ان اكتسبت تأييد الأنظمة العربية واعتراف العديد من دول العالم، كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني، تسير على الطريق المسدود، لأن منطلقاتها كانت إقليمية من حيث هيكلتها وقيادتها وقرارها، وبالتالي ستصل إلى مرحلة ستكون فيها مضطرة لمواجهة الأعداء والأصدقاء والأشقاء في وقت واحد، فوجه إليها دعوة للتخلي عن إقليميتها والانخراط في الخط القومي العربي، والمساهمة في بناء "التنظيم القومي العربي" الواحد على كامل الأرض العربية، لا أن تكون مستقلة عن القوميين العروبيين، وعن الجماهير العربية، التي تشكّل العمق الطبيعي للثورة. هذه المعاهدة[٣٦]: وهو كتيب ضمن فيه مرافعته السياسية والدستورية والقانونية التي أرسلها إلى مجلس الشعب المصري يدعوهم فيه إلى عدم التصويت على معاهدة السلام مع الكيان الصهيوني في مارس ١٩٧٩م، ويحذر فيها أعضاء مجلس الشعب من مخاطر الموافقة على الاتفاقية، مؤكداً أن مصر ستدفع ثمن تلك الاتفاقية غالياً من وحدتها الوطنية وفي بنيتها الاجتماعية، ولكن المعاهدة حصلت على موافقة مجلس الشعب وبأغلبية ساحقة، ثمّ حُلّ المجلس الذي وافق عليها. هذه الدعوة للاعتراف المستحيل[٣٧]: يوجه حديثه في ذلك الكتاب إلى منظمة التحرير الفلسطينية وعن دعوتها للاعتراف بالعدو الصهيوني، حذر فيه المنظمة من مغبة ومخاطر الاعتراف بالعدو الصهيوني، وما سيترتب على ذلك من تغيير في البنى الاجتماعية والسياسية ليس في مصر فقط، وإنما في العالم العربي بأسره. دفاع عن الشعب[٣٨]: كتيب يشمل فيه نص مرافعته الشهيرة التي نجح فيها من إبطال حجج وادعاءات الأجهزة الأمنية، ومنها الأخذ بالصور الفوتوغرافية والتسجيلات الصوتية كدليل اتهام، بعد أن نجح في إثبات سهولة تزوير الصور بما يتناسب مع مصلحة الأجهزة الأمنية أو الإدعاء العام بالوسائل التكنولوجية الحديثة آنذاك، في القضية التي اتهم فيها ١٧٦ شخصاً بإثارة الشعب والتحريض على قلب نظام الحكم خلال انتفاضتهم ضد التطبيع وتوقيع اتفاقية "كامب ديفيد" مع الكيان الصهيوني المغتصب عام ١٩٧٧م. دفاع عن الوطن[٣٩]: وهو كتيب يتضمن نص مرافعته التي تطوع فيها كمحامي للدفاع عن المتهمين في القضية التي عرفت بقضية "الحزب الشيوعي المصري"، بالرغم من اختلافه معهم منهجيا، حتى أن البعض منهم كان لا يحمل لفكره وُدًّا ولو قليلا. الاستبداد الديمقراطي[٤٠]: استعرض فيه أنواع الاستبداد، والتي شملت الاستبداد المطلق من استبداد الحكام الملوك وسيطرة البابوية الكاثوليكية باسم الحق الإلهي وناقش ما أسماه الاستبداد المتحضر، وتحدث عن الاستبداد النيابي الذي يمارس من قبل الطبقة البرجوازية التي أوجدت للحد من قدرة الشعب على الحكم، حيث أن شروط الترشح والانتخاب كانت تصب لمصلحة الطبقة الرأسمالية، رابطاً بين الحرية والفقر والبطالة، مقرراً أن نظام الاستفتاء هو الأقرب إلى الديمقراطية الحقيقية المباشرة، وفي نفس الوقت يسوق العديد من الممارسات والشواهد التي أفسدته وجعلته وسيلة

هدم الأسس الديمقراطية خاصة في مصر، وأشار فيه إلى اهمية وفاعلية الرأي العام من وسائل الإعلام ومنظمات المجتمع المدني في ضبط عمل وقرارات النواب في البرلمان. تطور مفهوم الديمقراطية من الثورة إلى عبد الناصر والناصرية[٤١]:يعرض فيه عصمت لمفهوم الديمقراطية بين ثلاثة مراحل: الأولى: مرحلة ثورة من ١٩٥٢م الى ١٩٦٠م، حيث تناول فيها الوضع الديمقراطي ومبادئ الثورة الست التي نادت بها وبين فيه أنها كانت مرحلة بلا نظرية ديمقراطية فجاءت متخبطة، غلب عليها الطابع الديكتاتوري نتيجة ممارسات أجهزة عبد الناصر، وبين فيه مشكلة الأحزاب وحلول الثورة لها، أما الثانية: مرحلة عبد الناصر وهي من سنة ١٩٦٠ إلى سنة ١٩٧٠م، حيث وضح فيها محاولات عبد الناصر الديمقراطية وكيف كانت تواجه قوى داخلية متنفذة أجهضتها، وأوضح فيه أيضا مراحل التحول من الديمقراطية الليبرالية الى الاجتماعية وانتهاء بالاشتراكية، أما المرحلة الثالثة: مرحلة سنة ١٩٧٠م، حيث المواجهة بين رجالات الثورة ومن يحملون فكرها الناصري الناصرية من وبين فكر السادات الذي انقلب على مبادئ الثورة بالعودة الى الليبرالية، وما مارسه بالاعتماد على ذلك. ثورة يوليو والمسألة الديمقراطية[٤٢]: يعالج ذلك البحث مفاهيم ومواقف ثورة ٢٣ يوليو من الديمقراطية الاجتماعية والسياسية ونوع حقوق الإنسان التي اهتمت بها وتلك التي أهملتها، وهدفت أيضا من خلالها إلى تحليل طبيعة علاقة الثورة بالجماهير، فدرست وسائل التعبئة الجماهيرية، كما درست وسائل المشاركة السياسية المتاحة للجماهير ومدى فاعليتها، وآليات صناعة القرار، ودور النخب السياسية والتكنوقراطية في هذا الصدد. النظام النيابي ومشكلة الديمقراطية[٤٣]: يتطرق عصمت في ذلك الكتاب لبعض مشكلات الديمقراطية الناشئة، كونها نظاماً حديثاً لم تعرفه البشرية منذ القدم؛ ما تزال غامضة الدلالة على المستوى النظري، وضبابية المعالم على المستوى التطبيقي، فتبنتها أشد النظم ديكتاتورية؛ ذلك لأن ثمة مشكلات نظرية لا يتفق فيها المفكرون والعلماء على حلها، وثمة مشكلات تطبيقية تكاد تكون مستعصية على الحل، وجميعها من وجهة نظرة تقف عائقاً أمام نضج الديمقراطية على المستوى النظري والتطبيقي على أرض الواقع، ويعرض الكاتب فيه لمشكلات الديمقراطية تاريخياً بدءاً من عصر الإغريق إلى عصرنا هذا، ويتطرق في بعض مباحثه إلى علاقة الديمقراطية بالتمثيل النيابي. عن العروبة والإسلام[٤٤]: هدف عصمت من ذلك الكتاب الضخم التوفيق بين فكرة القومية وبين مبادئ الإسلام وإزالة التصادم المصطنع بينهما، وفي هذا الصدد يقول: "في الوطن العربي طائفتان اختلفتا فاتفقتا؛ طائفة تناهض الإسلام بالعروبة وطائفة تناهض العروبة بالإسلام، وإنهما لتثيران في الوطن العربي عاصفة غبراء من الجدل تكاد تُضل الشعب العربي المسلم عن سبيله القويم، وأنهما لتحرضان الشباب العربي على معارك نكراء تكاد تلهيه عن معركة تحرير أمته، ذلك حديث إلى الشعب العربي عن الطائفتين تباعاً، سيقول نفر ممن يقرؤونه ما بال هذا الرجل يتلو آيات الكتاب لا يلتمس فيها عوناً من رجال الدين، فنقول لأننا مسلمون، ولا كهانة في الإسلام وسيقول نفر ما باله يتحدث عن الأمة العربية ولا يلتمس عوناً من مفكريها؟ فنقول لهم: ذاك مذهبنا، مذهبنا الإسلامي في القومية ومذهبنا القومي في الإسلام، فلينظروا ماذا هم فاعلون؟ أما الطائفتان فسينظرهم الشعب العربي إلى حين"[٤٥]. دفاع عن ثورة مصر العربية[٤٦]: دافع عصمت في ذلك الكتاب عن ثورة ١٩٥٢م، وبين فيه النواحي القانونية والتبريرات التي تصب في صالح الثورة، مع أنه انتقد بعض ممارسات الأجهزة الامنية ورجال الثورة من الناحية القانونية وبين القصور فيها، مثلما بين الأوجه الإيجابية فيها. الشباب العربي ومشكلة الانتماء[٤٧]: في ذلك الكتاب يتناول عصمت المشكلات الحضارية للشباب العربي، منها ما نقل إليهم كموروث جامد من الأجيال السابقة، ومنها المشكلات الحديثة التي يواجهها جيل الشباب وما يتعرضون له من غزو فكري حضاري من قبل الإمبريالية الجديدة التي تهدف الى تدمير المجتمع العربي وتحديداً العنصر الشبابي، والدور الذي تلعبه في عملية تذويب الهوية وما لذلك من أثر على الانتماء. الطريق إلى دولة أريحا[٤٨]: تحدث فيه عن مصير المفاوضات الفلسطينية – الإسرائيلية ومعاهدة السلام، وعن مآلاتها على القضية الفلسطينية، ويرى أن التوقيع على معاهدة الصلح لن ينتقص من الحقوق، فمن وقع فقد وقع باسمه الشخصي، وعليه فلا ينسحب الأثر على باقي الشعب العربي، ويرى أن إقامة دولة منقوصة السيادة في أريحا ما هي إلا تنازل عن جزء من الأرض العربية، ولا أحد مخول عن الشعب العربي في ذلك، ويرى إن انتخاب السلطة الفلسطينية في الأمم المتحدة كمراقب هو اعتراف بمواثيق الأمم المتحدة، التي لا تعترف بحقوق أي احتلال إلا لدولة الكيان الصهيوني، وبالتالي فالمنظمة موافقة ضمنياً على وجود الاحتلال على الأرض الفلسطينية، وإضفاء الشرعية عليه، وبموجب ذلك فإن إقامة دولة فلسطينية على جزء من الأرض الفلسطينية كما في المعاهدة، هو تنازل صريح عن أرض عربية، وهو تنازل ممن لا يملك الحق بذلك إلى كيان ليس له الحق في تلك الأرض لأنه محتل مغتصب، ويرى إن التكتيكات، ومنها ما تدعيه المنظمة قد استخدمت لغير هدفها، فكانت تخلياً عن الاستراتيجية، متناسين قوافل الشهداء، وهكذا فان كانتون غزة – أريحا ما هو إلا ترسيخ لدولة الكيان الصهيوني وإدخالها في الوطن العربي. "مذكرات قرية" و "مشايخ جبل البداري"[٤٩]: هما سيرة ذاتيه، وقد كتبها عندما وجهت إليه الدعوة

لكتابة سيرته الذاتية، فأثر كتابة السيرة الذاتية لقريته الهمامية متضمنة سيرته الذاتية، وقد كان على أكثر أحداثها شاهداً، ومن يقرأهما يدرك كيف كان يعيش الكاتب معاناة وحياة أهله، وكيف عبّر عن مشاعرهم بدقة، حتى أن البعض قال بأن عالم الأدب خسره وكسبه عالم السياسة والقانون.

المبحث الثالث: عصمت سيف الدولة والسادات

يرى سيف الدولة أن السادات "ارتد بمصر الدولة عن الاتجاه القومي لثورة يوليو الناصرية"، ويضيف: "أصبح إيقاف الردة وإنقاذ مصر من التردي الأقليمي بعد أن كانت مركز قيادة الحركة القومية، هدفاً قومياً وأصبحت به مصر القضية المركزية للنضال القومي. وأن تحقيق هذا الهدف أصبح متوقفاً على حجم وتنظيم ونشاط القوى الجماهيرية التي تناضل من أجل تحقيقه. وقد استطاع فعلاً أن يستقطب إلى ساحته قوى شعبية كثيرة ومتنوعة وإن لم تكن منظمة. كما استطاع أن يكسب مواقف بعض الأحزاب الرسمية. ولم يكن ذلك كافياً لإيقاف اندفاع دولة السادات إلى الهاوية الفرعونية. كانت أكبر القوى وأكثرها مقدرة على التأثير فيما لو التحمت تنظيمياً. فناضلت هي القوى الناصرية. كان لدى كل ناصري أكثر من سبب إيقاف ردة السادات. وكان السبب القومي واحداً سائداً من الأسباب التي تحرك الشريحة المثقفة وذوي الخبرة من الناصريين. ولكن الجموع الناصرية الشعبية ذات الأغلبية الكاسحة كانت تنفعل بدرجة أكبر للأسباب الاقتصادية والاجتماعية التي تحققت لها في عهد عبد الناصر. وكان من الأحداث المهمة أن الناصريين– كانوا وما يزالون– أكثر عدداً وأكثر انتشاراً على المستوى الشعبي من أية قوة أخرى.. وكان عليهم أن يتحولوا من تيار شعبي غير منظم إلى قوى جماهيرية منظمة، أي: إلى حزب. ولكنهم كانوا يواجهون في سبيل ذلك عدة عوائق ذات طبيعة نظامية وتاريخية لم يواجهها ولا يواجهها مجتمع حتى الآن مع أي تيار آخر. وكان منها عداء الدولة وإنكار شرعية التنظيم عليهم، ومنها غياب الخبرة بالتقاليد التنظيمية لدى الجيل الجديد. ومنها افتقاد قيادة محورية مقبولة من الجميع. ومنها الناصريون الرماديون الذين أرادوا أن يكونوا ساداتيين فعلاً جلباً للكسب الحالي وناصريين قولاً ليستحقوا الكسب المحتمل. فأضعفوا أثر الفرز الحاد الذي كان كفيلاً بأن يخدم هدف التحام الناصريين قولاً وفعلاً في حزب، ومنها أخيراً وليس آخراً عقبة كيفية التنظيم، الصيغة التقليدية هي أن تلتقي أقلية من الصفوة على مبادئ يصوغونها ثم يدعون الناس إلى الالتحاق بهم، أو يستقطبونهم أفراداً حتى يكون للهرم الذي بدا من قمته قاعدة جماهيرية كافية لحمل ثقل مبادئه فيستقر. مشكلة الناصريين أنهم يكونون قاعدة ناصرية عريضة لا بد أن يبدأ منها بناء هرمهم التنظيمي، وهي مشكلة عويصة؛ لأنها كانت تقتضي قبل أي بناء تنظيمي التحقق من أن كل فرد من القاعدة ناصري. وكل هذا التحقق يفتقد المعايير الموحدة كما يفتقد الحكم المقبول من الجميع أو حتى من الأغلبية ليتولى الفرز على ضوء تلك المعايير. باختصار كان مطلوباً لتسهيل مهمة تحول الناصريين أو أغلبهم إلى قوة منظمة الإجابة على سؤال: من هو الناصري؟ ولم يكن ثمة إجابة على السؤال إلا قول الموجه إليه فرداً.. ولم يكن ما ينسبه كل فرد إلى نفسه كافياً أو ملائماً لبناء تنظيم.. ولقد استطاع الناصريون أن يتحولوا عن طريق تفاعل قريب الشبه من التفاعل الكيماوي من أراد (ذرات) إلى جماعات (بلورات) وأن تتجمع البلورات في كتلة (حزب تحت التأسيس) يقاوم ذوبان كل أفرادها وجماعاتها أفراد وجماعات، فأصبح محتوماً عليهم جميعاً أن يجيبوا على السؤال المؤجل: من هو الناصري ؟.. وهم فاعلون إن شاء الله.."[٥٠]. بعد وفاة الرئيس جمال عبد الناصر، ذهب سيف الدولة إلى ليبيا بدعوة من قيادة الثورة لزيارة البلاد وإلقاء سلسلة من المحاضرات بمناسبة البدء في تنظيم الجماهيرية على غرار الاتحاد الاشتراكي العربي في مصر، وكان سيف الدولة يمتلك مشروع تأسيس حركة قومية تمكن من صياغته ونشره تحت عنوان "نظرية الثورة العربية"، كان ذلك في يوليو ١٩٧١. ولكن في يوليو ١٩٧١ كان قد مضى شهران على انقلاب ١٥ مايو ١٩٧١ الذي أطاح فيه السادات بكل رموز الناصريين في مصر. وكان شعراوي جمعة، مسجوناً فلم يقدم اليه عصمت نسخة من الكتاب، وفي هذا الصدد يقول: "الواقع انني أرسلتها اليه خفية مع أحد حراس السجن الذي زعم انه سلمها اليه يداً بيد. وقد نفى السيد شعراوي جمعة فيما بعد رواية الحادث. وهو اصدق قطعاً)". يقول عصمت: "لم يكن انقلاب السادات مفاجأة لي. ولكن المفاجأة الحقيقية كانت تصديق قيادة الثورة في ليبيا لمزاعم السادات الوحدوية وانحيازهم إليه في صراع مايو ١٩٧١. لم أر من مبررات ذلك الانحياز إلا أنه تفضيل "دولة" التعامل مع الرئيس الشرعي "لدولة". ولما كان هذا التفضيل يتناقض جملة وتفصيلاً، مضموناً وصياغة. مع كل معنى وكلمة جاء في "نظرية الثورة العربية" فإنني لم أجد مبرراً لإرسال النسخة الموعودة الى طرابلس"[٥١]. توجه عصمت سيف الدولة إلى الرقابة في القاهرة لطلب التصريح بنشر كتابه "نظرية الثورة العربية"، وفي هذا يقول: "حملت كتابي كما هو إلى الرقابة في القاهرة أطلب التصريح بنشره. رفض طلبي بعد محاورات ومناورات لم أعرف دلالتها إلا فيما بعد. فأرسلته الى بيروت موصياً بتسليمه إلى دار الطليعة، فذهب الصديق يحمله في يوم كان رب الدار فيه غائباً. فلم ينتظر إلى الغد، وعهد بنشره إلى الدار التي تصادف إن كانت في ذات الطابق من البناية ذاتها.. على أي حال، قبل أن ينشر الكتاب، قبض عليّ

(١٦ فبراير ١٩٧٢) وحملت عنوة الى سجن القلعة لأسباب مصطنعة كثيرة. ولكن حينما بدأت المحاكمة وأراد الذي ظلم نفسه وظلم غيره أن يخرج من الهاوية التي تردى فيها، أقر أمام المحكمة بأنه كان مسخراً من أجهزة الأمن لمراقبتي منذ سنين. وأنه سخر للإيقاع بي على وعد بألا يقع هو، و.. و.. أن السبب الحقيقي وراء الاتهام والمحاكمة هي قصة إنشاء ونشر كتاب "نظرية الثورة العربية" وعلاقتها بإنشاء التنظيم القومي اتفاقاً مع الناصريين.. "[٥٢]. يرى عصمت سيف الدولة أن السادات وغيره من الناصريين المزيفين استغلوا الرئيس الراحل جمال عبد الناصر استغلالاً مجرداً من توقير واحترام ذكرى الرجل العظيم حين قدموا أنفسهم بديلاً عن شخصه موهمين انفسهم، أو موهمين غيرهم، بأن ما صدر عن البطل من أفعال أو اقوال او أفكار إذ يسند إليهم " كناصريين" ستبقى له دلالته التي قبلها الناس في حياة عبد الناصر، ويستطرد قائلًا: "لقد ركع أنور السادات أمام تمثال جمال عبد الناصر في مجلس الأمة على إثر ترشيحه لرئاسة الجمهورية، وأعلن بعبارات جهورية بليغة أنه يلتزم خط عبد الناصر وغايته وبيانه (بيان ٣٠ مارس). ويعرف الناصريون قبل غيرهم أن أنور السادات كان في ركعته الوثنية تلك كاذباً. ومع أن نهاية السادات المأساوية كانت نتيجة متراخية لفعلته تلك فهي عبرة. وبالرغم مما أدت إليه مسيرته مرتداً من تحقيق قدر كبير من فرز القوى بحيث أصبحت واضحة إلى حد لا بأس به معالم تيار ناصري كبير وعريض وكثيف ونشيط في الوطن العربي يوشك ان يتوحد في حزب. إلا أنه لا يزال في قلب التيار الناصري من يوهمون أنفسهم أو يوهمون غيرهم كما فعل السادات، لا يفترقون عنه إلا بأنهم – كما اعتقد – حسنوا النوايا أي قد يكونون مقتنعين بصدق مواقفهم. أما فيما يتجاوز حسن النية فإنهم لا يفترقون عن السادات إلا في الشكل. ويبقى مضمون الموقف واحداً. تولى هو رئاسة جمهورية عبد الناصر. وهم ينشئون من الناصريين أحزاباً وجماعات وشللاً ليتولوا رئاستها. وبدلاً من الركوع أمام تمثال عبد الناصر يكادون يقدسون عبد الناصر وافعاله واقواله وافكاره. تعرفهم من أنهم أكثر الناس تعبيراً بأكثر الأصوات صخباً بأكثر الكلمات حدة بأكثر الانفعالات عصابية عن قدسية أفعال وأقوال وأفكار عبد الناصر"[٥٣]. في عام ١٩٨١، كان عصمت سيف الدولة من بين الذين ألقى بهم أنور السادات في ملحق سجن مزرعة طرة جنوب القاهرة، يقول سيف الدولة: "كنا نحو أربعين لا يكاد يتفق منا أحد مع أحد فعلاً او قولاً أو فكراً إلا القليل، وكان من بين القليل الذين يبدون مثقفين حفنة من الناصريين على رأسهم أكثر من عرفت من الناصريين صلابة وشجاعة وهدوءً وتهذيبًا، الأستاذ محمد فائق، كما كان من بينهم الرجل الذي يتصدى منذ ثلاثة أعوام لإنجاز أهم وأصعب المهام الناصرية الأستاذ فريد عبد الكريم وكيل المؤسسين للحزب الاشتراكي العربي الناصري. وكان من بينهم شباب ناصريون تحدوا الردة الساداتية بشجاعة وهم بعد طلبة. قال واحد من هؤلاء الشباب أمام الآخرين وهم يتحدثون عن كتاب "نظرية الثورة العربية": إن العيب الوحيد في هذا الكتاب الذي يحول دون قبوله من الناصريين هو أنه ليس بكلمات عبد الناصر !! فاكتفى محمد فائق بالابتسام .. [٥٤].

الخاتمة

في ختام هذا البحث توصلنا للنتائج الآتية:

- تنوع الإنتاج الفكري والثقافي لعصمت سيف الدولة بين الكتب والأبحاث والمحاضرات التي ألقيت في أماكن مختلفة والمقالات التي نُشرت في الكثير من الصحف والمجلات.
- يتمتع عصمت سيف الدولة بمواهب شتى، فهو شاعر وأديب ومفكر تمكن من التعبير عن همومه وهموم مجتمعه من خلال الشعر أو النصوص الأدبية أو الروايات أو القصص، كما أنه كان فنانا تشكيليا.
- ان المفكر لا ينبغي ان ينعزل عن مجتمعه، بل من الضروري الانخراط في المجتمع والكفاح من أجل رفع رايته، وهو ما فعله عصمت، إذ لم يكن مفكرنا منظراً فقط، بل حمل السلاح ضد الاستعمار.
- آمن عصمت بثورة ٢٣ يوليو ووجد فيها سبيلاً لخلاص الأمة، فدافع عنها وعن قائدها جمال عبد الناصر بحماسة واندفاع.

المصادر والمراجع

[1]() في تلك المذكرا ت سجل فيها نشاته حياته وواقع قريته، نُشرت هذه المذكرات في حياته عام ١٩٩٥، كجزء أول، أما الجزء الثاني، وهو رواية "مشايخ جبل البداري"، فقد نشرت بعد وفاته عام ١٩٩٦.

٢ –عصمت سيف الدولة، مشايخ جبل البداري، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٦، ص ٤ – ٦، عصمت سيف الدولة، مذكرات قرية، دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٥، ص ٢٣.

٣ – جريدة الوسط التونسية ، تونس ،بتاريخ ٥/ ٤ /٢٠١٢

[٤] – أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، بحوث ومناقشات الندوة الفكرية، الطبعة الأولى، ٢٠٠١، ص ٣٨٧ – ٣٨٨.

[٥] – المصدر نفسه، ص ٤٠١

٦ – المصدر نفسه، ص ٦٣ –٣٩٠

٧ – المصدر نفسه، ص ٣٩٨

٨ – المصدر نفسه، ص ٣٩٧

[٩] –عصمت سيف الدولة، تطور مفهوم الديمقراطية من الثورة إلى عبد الناصر إلى الناصرية، سلسلة كتب المستقبل العربي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣، ص ١٣٣.

[١٠] –عصمت سيف الدولة، الأسس: الحرية أولا وأخيرا، الجزء الأول، دار المسيرة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٩، ص ١٢٥.

[١١] –عصمت سيف الدولة، عن الناصريين واليهم، دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٨٩، ص ٦.

١٢– اتفاقية سيناء كان اتفاق سيناء المؤقت المعروف أيضا باسم اتفاق سيناء الثاني ، اتفاقاً دبلوماسياً وقعته مصر و(إسرائيل) في ٤ أيلول عام ١٩٧٥ . وأقيمت مراسم التوقيع في جنيف . للمزيد ينظر : حسين أبو النمل واخرون ، الكتاب السنوي للقضية الفلسطينية لعام ١٩٧٥ ،مج ١١ ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ،ص ٣٧٥ ،٣٧٨.

١٣ – اتفاقية كامب ديفيد: هب اتفاقية تم التوقيع عليها في ١٧ أيلول عام ١٩٧٨ بين الرئيس المصري السادات ورئيس وزراء ٠اسرائيل) مناحم بيجن بعد ١٢ يوم من المفاوضات في المنتج الرئاسي كامب ديفيد ،كانت المفاوضات والتوقيع على الاتفاقية تحت اشراف الرئيس الأمريكي جيمي كارتر. للمزيد ينظر : صلاح العقاد ، السادات وكامب ديفيد، مكتبة مدبولي ، القاهرة ، د.ت .

[١٤] – أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

[١٥] – عصمت سيف الدولة، عن الناصريين وإليهم، دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨، ص ٩.

[١٦] – أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، ص ٢٤٤ – ٢٤٥.

[١٧] –أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، ص ٣٩٧.

[١٨] –أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، ص ٢٤٦.

[١٩] –عصمت سيف الدولة، مشايخ جبل البداري، ص ٦.

[٢٠] –أحمد ثابت وآخرون، من حملة مشاعل التقدم: عصمت سيف الدولة، ص ١٦٠ – ١٦١.

[٢١] –نشرته: الدار القومية، القاهرة، سنة ١٩٦٥.

[٢٢] – نشرته: دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٨.

[٢٣] –نشرته: دار الأدب، بيروت، ١٩٦٩.

[٢٤] – نشرته: دار الطليعة، بيروت، ١٩٦٦.

[٢٥] – نشرته: دار النهضة العربية، القاهرة، ١٩٦٨.

[٢٦] –نشرته: دار الطليعة، بيروت، ١٩٧٠.

[٢٧] – نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٢.

[٢٨] – نشرته: دار المسيرة، بيروت، سنة ١٩٧٦.

[٢٩] –نشرته: دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٧٧.

٣٠ –نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٧.

[٣١] –نشرته: دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٧٨.

[٣٢] – نشرته: دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ١٩٧٨.

[٣٣]– نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٨.

[٣٤] – نشرته: دار المسيرة، بيروت، سنة ١٩٧٨.

[٣٥] – نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

[٣٦] –نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٧٩.

[٣٧] – نشرته: دار المسيرة، بيروت، ١٩٨٠.

[٣٨] –نشرته: دار الكلمة للنشر، بيروت، ١٩٨٠.

[٣٩] –نشرته: دار الثقافة، القاهرة، ١٩٨٠.

[٤٠] –نشرته: دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٨٣.

[٤١] –بحث منشور في: مجلة المستقبل العربي، بيروت، العدد ٥٦، تشرين الأول، ١٩٨٣.

[٤٢] – بحث قدمه عصمت سيف الدولة إلى ندوة "ثورة ٢٣ يوليو.. قضايا الحاضر وتحديات المستقبل" التي عقدت في القاهرة في الفترة بين ٣ – ٦ مايو ١٩٨٦.

٤٣ –نشرته: دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٩٠.

[٤٤] – نشرته: دار البراق، تونس، ١٩٩٠.

[٤٥] – عصمت سيف الدولة، عن العروبة والإسلام، دار البراق، تونس، ١٩٩٠، ص ١٠.

[٤٦] –نشرته: دار المستقبل العربي، القاهرة، ١٩٩٠.

[٤٧] – نشرته: دار الموقف العربي، القاهرة، ١٩٩١.

[٤٨] – نشرته: دار الأنصار، دمشق، ١٩٩٥.

٤٩ نشرته: دار الهلال، القاهرة، ١٩٩٥ – ١٩٩٦.

٥٠ – عصمت سيف الدولة، عن الناصريين وإليهم، ، ص ١١ – ١٢.

٥١ – المصدر نفسه، ص ١٣.

٥٢ – المصدر نفسه ، ص ١٣ – ١٤.

٥٣ المصدر نفسه ، ص ١٤ – ١٥.

٥٤ –المصدر نفسه ، ص ١٥.